الأمكنة الغيبية في القرآن الكريم

((قراءة من منظور جمالي))

م.د. أحمد جياد شروم

قسم علوم القرآن والتربية الاسلامية

كلية التربية – جامعة القادسية

البريد الألكتروني: ahmed.sharoom@qu.edu.iq

الملخص:

يهدف هذا البحث الى الكشف عن نمط معين من الأمكنة الحاضرة في القرآن الكريم ، وهذا النمط هو المكان الغيبي الذي انفرد به النص القرآني عن غيره من النصوص القصصية والروائية ذات النتاج البشري؛ فالمكان الغيبي والأعجاز القرآني صنوان لا يفترقان لهما قراءة جمالية خاصة فكانت للباحث وقفة موجزة مع مفهوم المكان في اللغة والاصطلاح ورؤية سريعة عن المكان في القرآن الكريم ، ومن ثم الوقوف عند بعض النماذج المختارة من الأمكنة الغيبية وبيان الرؤية الجمالية لها والتي جاءت بقوالب لغوية اعجازية ونظم محكم تميزت بالأبداع والادهاش والبقاء والخلود.

Abstract

This research aims to reveal a specific pattern of the places present in the Holy Qur’an, and this pattern is the unseen place in which the Qur’anic text is unique from other human-produced anecdotal and narrative texts; The unseen place and the Qur’anic miracles are inseparable for a special

aesthetic reading, so the researcher had a brief pause with the concept of place in language and terminology and a quick vision of the place in the Holy Qur'an. Characterized by creativity, surprise, survival and immortality.

المقدمة

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين ، وبعد

فالمكان هو احد العناصر الذي شكل حضورا كبيرا في القرآن الكريم بشكل عام ، والقصة القرآنية بشكل خاص ؛ لما لهذا العنصر من اهمية كبيرة في السياقات القرآنية .فهو يشكل فضاء الأحداث والمواقف وكثيرا ما يمتزج مع الزمن بأنواعه المتعددة .

وقد ظهرت انواع مختلفة من الأمكنة ، منها ماكان طبيعيا وخرى اصطناعية ولون انفرد به الذكر الحكيم هو المكان الغيبي ، وكلها لها أبعاد أسلوبية وجمالية وتشريعية وتربوية واجتماعية .

المبحث الأول: المكان (رؤية نسقية موجزة)

المطلب الأول : المكان في اللغة والاصطلاح:

المكان في اللغة اسم مشتق يدل على ذاته ، وينطوي على اشارة دلالية ممتلئة ، وله ابعاد ومواصفات ؛ فالمكان هو ((...الموضع ، والجمع امكنة ، كقذال واقذلة ، واماكن جمع الجمع)).[1]

وللمكان معنيان ، مادي ومعنوي ، فهو ((...في اصل تقدير الفعل مفعل ، لأنه موضع الكينونة غير انه لما كثر اجروه في التصريف مجرى الفعال ، قالوا: مكنا له وقد تمكن)).[2]

وأما في الاصطلاح فقد ذكر افلاطون أن المكان يعد حاويا للشيء وقابلاً له[3]، وأشار ارسطو ان لكل جسم مكانا خاصا يشغله .[4]

وفي الفلسفة العربية ذكر الكندي ان المكان موجود ولا يمكن انكاره ، وهو((التقاء افقي المحيط والمحاط به)).[5]

وفي العصر الحديث مزج جاستون باشلار الأمكنة بالمواقف والشخصيات والأحداث والانفعالات الأنسانية يقول في ذلك: ((المكان الممسوك بواسطة الخيال لن يظل مكان محايدا ، خاضعا لقياسات وتقييم مساح الأراضي، لقد عيش فيه لا بشكل وضعي ، بل بكل ما للمكان من تحيز...)).[6]

ولقد كان للعرب – منذ القدم – علاقة وطيدة مع المكان ؛ فالعربي يشتاق للموطن الأول وللبيت والبيئة التي عاش فيها ، وحينما يمر على الديار الأولى وبقايا الأطلال تختلط الانفعالات والمشاعر فتنبعث الذكريات فيعمل الأديب والشاعر الى مزج الأحداث الماضية مع الفضاء الذي كان يعيش فيه ويحوله الى نص أدبي إبداعي يتضمن انماط متعددة من الأمكنة الطبيعية والاصطناعية والخيالية ليحول ذلك الوضع النفسي المتأزم فيؤسس ويؤلف قصيدة شعرية تتصف بالجمال والتأثير.

من هنا نجد أن المكان يتأسس من الحيز الجغرافي وله ابعاد يتضمن مميزات يحاكي الواقع ، ويضم معاني ودلالات التي تتشكل من الأحداث ، ويقوم بترجمة الانطباعات ورسم الشخصيات وتفسير الواقع وتأويله.

المطلب الثاني: المكان في القرآن الكريم

حينما جاء الإسلام وانتشر في آفاق الأرض الرحبة ، توسعت الرؤية الإسلامية في الأماكن الفسيحة ، فصارت نظرة المسلم للحياة والكون والأنسان وفقا للمنظور الإسلامي ، ولا مناص من ان

هـذه الرؤيـة لهـا بعـدها المكـاني بأنمـاط واشـكال متعـددة ، فتعمقـت علاقـة الأنسـان بالمكـان والزمـان ، عـلاوة علـى ذلـك ان تلـك العلاقـة لا تتوقـف عنـد حدود الأمكنة الدنيوية ، بل امتدت الى أمكنـة غيبيـة لا حضـور لهـا في الروايـات والقصص والحكايات التي يضعها الكتاب والأدباء.

وقـد اسـتعمل القـرآن الكـريم لفـظ (المكـان) في آيـات متعددة ، تحمـل معهـا دلالات مادية ومعاني مجازية ، ومن تلك الأمـاكن الحسية قوله تعـالى: ((وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا[7]((اي اتخذت مكانا نحو الشرق، وفي قولـه تعـالى: ((وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ))[8] جاءت كلمـة (المكـان) بمعنى الموضـع القريـب ، وفي قوله تعالى: ((وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيّٗا))[9] اي اصبح ذا منزلة عالية .

جاء اسم المكان في النصوص القرآنية في ثلاثين موضعا ؛ وكانت البداية الأولى لمعرفة الأنسان بالكون بعد امر الله تعالى بأقامـة الخلافـة علـى الأرض / المكـان، وبعد هبوط آدم عليه السلام فعلم الخالق انـه خليفتـه علـى هـذا الكـون الفسـيح ، فبـدأ النسـل والذريـة منـه ، فكانـت ان ظهرت علاقة بين الأرض وقابيل بعد قتل اخيـه وتعلمـه مـن الغـراب كيـف يـواري جسـد اخيـه الثـاوي علـى الأرض ، فتشكل في ذلك الزمن الماضي علاقة بين المكـان والأنسـان، وهـي علاقـة خلـق الأنسان من طين ، وعلاقة الموت وذلك باحتوائه في بطنها بعدما يوارى بداخلها ، فضـلا عـن العلاقـة الكـبرى والاهـم هـي علاقة البناء والتشييد والأعمار عن طريق وحدانيـة الخـالق وعبادتـه ، يتجلـى هـذا الأمـر بقولـه تعـالى: ((وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ [10]((، وهي رؤية اسـلامية مـوجزة للمكـان بوصـفه ينـدرج

تحت رؤية كبرى هي نظرة الاسلام للكون والأنسان والحياة .

وعلى الرغم من ان القرآن الكريم قد ورد فيه مجموعة من الأمكنة في آيات متعددة ، إلا أن هذا لا يلغي أن كثيرا من السياقات القرآنية والأحداث جاءت خالية من ذكر المكان ، انطلاقا من ان دلالات الفيض الالهي تتميز بالعمومية والشمولية ولكي تكون الآيات بما فيها من مواعظ ونصح وارشاد يستفيد منها الناس جميعا بصرف النظر عن الجنس والون والعرق والبعد المكاني ، فكان التركيز تثبيت المسائل الاعجازية والعقدية والأخلاقية والتربوية والأسلوبية والجمالية والاجتماعية.

المبحث الثاني: الأمكنة الغيبية (قراءة جمالية)

المكان الغيبي الذي رسمه الخالق لنا في آيات عديدة قائم على التنوع ؛ فمنه المكان اللامحدود ، وآخر مفتوح ، ومغلق ، وهذا التعدد ينطوي على وفق منظور جمالي اعجازي ، وذلك الجمال لا يتحقق الا بعد التأمل والتفكر بماهية تلك الأمكنة ومدى فهمها وتأثيرها على المتلقي وفقاً لحضورها في النسق القرآني من أجل تحقيق اهداف معينة، إذ أن من جماليات سرد الأمكنة الغيبية التعرف على مصاديق القدرة الألهية المستقبلية بالتصور والأدراك ، من خلال ذكر الجنة ومراتبها ودرجاتها لتكون حافزا للمسلمين ، وبيان اهوال النار للتحذير من الوقوع فيها وهذا الأمر قائم على سبيل الحقيقة والواقعية والموضوعية والصدق ، بعيدا عن كل وهم وخيال.

ومن جماليات ذكر الأمكنة الغيبية هي للكشف عن جزء من قدرات الذات الألهية في الخلق من العدم والموت ثم البعث من أمكنة القبور الى فضاء اوسع فضاء الحساب والجزاء ، فأما الى امكنة النعيم في الجنة ، لتستقر النفوس فيها والأقامة بمنازلها ، او أمكنة الجحيم التي

جعلت موقداً لا ينطفئ ولهيباً يتموج في أجساد الشرك الذين انحرفوا عن جادة الصواب ، وهنا ستكون لنا وقفة موجزة مع مجموعة من الأمكنة الغيبية برؤية جمالية.

العرش: ذكر الخليل أن (العرش) سرير الملك، قال تعالى: ((وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ[11]((، ثم استعير ذلك فقيل لأمر الرجل وقوامه: عرش ، ويقال لسقف البيت عرش ، قال تعالى: ((فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا[12]((أي ان السقف يسقط [13] ، والجمع اعراش وعروش ، والعرش: البيت، وعرش الثريا كواكب قريبة منها، والعرش والعريش ، ما يستظل به [14] ، وقد وردت هذه اللفظة واشتقاقاتها المتعددة في تسعة وعشرين موضعا.

ومن المعلوم أن العربي – وفي زمن الطهر اللغوي- كان قارئاً فائقا لسانياً، يتفحص مواطن النص ويتأمله بنظرة شمولية ، تأويلية ؛ فالقرآن نزل بلغة العرب ليجاريهم بأساليبهم المختلفة فيغلبهم ويعجزهم من الأتيان بمثله ، فكان الأيمان في القلوب ، قال تعالى: ((ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ [15]((، وقوله تعالى: ((ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ))[16] ، وقوله تعالى: ((فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ[17]((، وقوله تعالى:

))رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ.[18]((

ومن البديهي ان المؤمن اذا سمع بآيات الذكر الحكيم فأنها تبعث في القلب الطمأنينة وتستقر لها النفس الانسانية ، وهذه الآيات تضفي على الأرواح عبقا وسحرا لا يوصف ، فالقرآن جاء بأجمل بيان نظما وأحكم الكلام ذوقا واسهل الكلمات نطقا ، وهنا لا بد من حضور وسائل الجمال في الفرقان العظيم حاضرة كالذوق والفطرة والأحساس بالمعنى والمشاعر الصادقة ، ففي قوله تعالى: ((ثُمَّ

اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ))[19] هي كناية عن مقام السيطرة الثابتة الراسخة الواضحة للإنسان، ولفظ (ثم) ليست للتراخي الزماني، انما هي للبعد المعنوي فالزمان هنا لا ظل له، فليست هناك حالة او هيئة لم تكن ثم كانت، فمعنى الأستواء على العرش الاستعلاء والسيطرة[20]

لتنكشف للمتلقي دقة انتقاء الألفاظ لاسيما لكلمة(العرش) وجمال موقعها من الآيات وتحقيقها للهدف والغرض و((ان كل ماعلا اتسع ، فكل سماء اعلى من التي تحتها وهي اوسع منها ، ولهذا كان الكرسي اعلى من السماوات. وهو اوسع منهن كلهن ، والعرش اعظم من كل ذلك بكثير))[21] ، وهو عبارة عن سرير الذي للملك ، وليس هو فلكا، فهو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة وهو سقف المخلوقات .[22]

البرزخ: هذه الكلمة ذكرت في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، والبرزخ مابين كل شيئين والحاجز وهو ايضا ما بين الدنيا و الاخرة قبل الحشر ، فكل من مات دخل البرزخ .[23]

مما لا ريب فيه أن الرؤية الجمالية لكلمة (البرزخ) في السياقات القرآنية تعطي دلالة الحاجز بين زمانين ومكانين في الحياة الدنيوية ، وزمانين ومكانين في الحياة الأخروية ، قال تعالى: ((وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ[24]((، وقد يكون البرزخ حاجزا / مكان، قال تعالى: ((بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ)).[25]

والأنسان بفطرته التي هي أداة من أدوات الجمال يبدأ بالتعامل مع الأمكنة الطبيعية في الحياة الدنيا ، والأمكنة التي يقوم بتشييدها ليجعلها اجمل مايكون شكلا ومضمونا وهذه هي الدائرة الصغرى التي يتعايش معها الكائن الحي على هذه الأرض ، وحينما ينظر الى آيات القرآن الكريم يتلمس القارئ بذوقه وحسه الجمالي وفطرته ما يتخطره من امكنة غيبية تتصف بالجمال المعنوي وما

تشتهيه الأنفس وما تتمناه للأنتقال الى الدائرة الكبرى / الدائرة الأبدية، أمكنة النعيم ، أو أمكنة الجحيم ، فالأنسان يتزود لنفسه استعداد لمرحلة البرزخ لتكون مفترق طرق بين عالم قد عاش فيه وانتهى بالموت والعالم الغيبي الذي ينتظره ، فمن تزود بالأيمان ينتظره مكانا غيبيا يتسم بالجمال ، ومن تزود بالكفر فمكانه الغيبي قائم على القبح .

الصراط: الصراط بمعنى الطريق [26]، وقيل هو الطريق السهل ، قال الشاعر:

خشونا ارضهم بالخيل حتى تركناهم اذل من الصراط[27]

فمن جماليات هذا المكان انه قد جاء في مواضع متعددة ليحمل معان عدة ، ففي قوله تعالى: ((وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا[28])) ، أي هذا الذي أنت عليه يا محمد والمؤمنون دين ربك لا اعوجاج فيه فجعله مستقيما [29]، بمعنى الطريق المستقيم وهو كناية عن الدين ، فالإنسان بوساطة الشريعة الألهية يصل الى طريق الاستقامة في كل شيء ومن ثم ينال رضا الله ، ومن جماليات هذه اللفظة انها جاءت في سياق اخر معبرة عن مكان الشدة والألم والحزن ، قال تعالى: ((فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ.[30]))

وفي آية اخرى نجد ان هذا المكان الغيبي / الصراط قد سطع جماله من خلال التقابل الدلالي للفظ المنعوت بالمستقيم ، وهو منهاج الأنبياء والمرسلين ودعوتهم للناس للسير على هذا المنوال ، ويكون في قبال من ابتعد عن طريق الحق ، قال تعالى: ((وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ[31])) ، علما ان الصراط هو ((جسر على جهنم، اذا انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف الى الظلمة التي دون الصراط ، وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين ويتخلفون عنهم ، ويسبقهم

المؤمنون ، ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول اليهم)).[32]

النزل: النزل ما هيء للضيف اذا نزل عليه ، والنزل: المكان الصلب السريع السيل ، ونزل من علو الى اسفل بمعنى انحدر والنزول هو الحلول ، والنزل: المنزل [33] ، قال تعالى: ((إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا[34]((، فلا جرم أن يكون من أدبيات النص القرآني وجمالياته ان يكون لأهل الأيمان منازلهم الخاصة ومساكن لأهل الشرك والألحاد وهو من العدل الألهي ففي قوله تعالى:((جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ[35]((، فجاءت كلمة (نزل/المكان الغيبي) في ابلغ سياق واجمل نسق لتقدم للقارئ معنى سرعة نزول الأمر الألهي ، والحال ينطبق على الكافرين في الآية الأولى.

الغرفة : الغرفة بمعنى العلية والجمع غرفات وغرف ، والغرفة السماء السابعة [36]، وقد وردت كلمة غرفة وصيغها المتعددة في ستة مواضع.

إن هذا المكان / الغرفة قائم على الاحتواء ؛ فقد يكون الأنسان في الغرفة في راحة واطمئنان ، وربما يجعل الأنسان من هذا الحيز هروبا من الواقع المرير ، فتنبعث من النفس ألأنسانية مشاعر الحزن والألم ، وقد جاءت هذه اللفظة (الغرفة) تعبيرا عن اجمل المعاني لتقدم للمتلقي دلالة الراحة و الاستقرار والشعور بالأمان فكان توظيف الكلمة بدقة متناهية وبلاغة عالية وسهولة بالنطق وبأجمل سياق قال تعالى: ((أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ[37]((، فقد ذكر الطبري في تفسير الآية الكريمة أن المؤمنين سيثابون على أفعالهم التي فعلوها في الحياة الدنيا غرفا، وهذه الغرف هي منزلة من منازل الجنة رفيعة [38] وفي آية اخرى يتلمس القارئ جماليات ذلك الفضاء الغيبي في حجمها وتشييد بنائها الرباني ذات أسس إعجازية غيبية تتميز بالأبداع

والجمال، قال تعالى: ((لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ[39]((فهذه الآيات الكريمة التي تتضمن المكان الغيبي قد وصفها رب العزة والجلال بالأيمان والهدوء والسكينة ، وهي من جماليات السرد القرآني وأدبياته ، قال تعالى: ((وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ .[40]((عدن: العين والدال والنون اصل صحيح يدل على الاقامة ، والعدن : إقامة الأبل [41]، وعدنت البلد توطنته ، وجنات عدن: جنات اقامة لمكان الخلد، والمعدن بكسر الدال هو المكان الذي يثبت فيه الناس لان اهله يقيمون فيه[42]، وقد وردت هذه اللفظة في مواطن متعددة من الذكر الحكيم ، وكلها مضافة لجنات الأخرة.

لقد اثبت الجرجاني (ت٤٧١هـ) أن الأعجاز قائم على النظم والتأليف وهذا الأمر- بدوره – قائم على ((توخي معاني النحو واحكامه فيما بين الكلم))[43]، ومن مصاديق النظم حسن سبك الألفاظ والتأليف المعجز مع وضوح البيان والفواصل المتناسبة لينتظم للقارئ جمال معجز بكل ما احتواه من عجائب في الشكل والمضمون وتحقيق مصالح الأنسان والحياة والكون.

من هنا نجد أن المنظور الجمالي لكلمة (عدن) انها مكان اقامة مفتوح يتسع لكل من أمن بالله واليوم الأخر متضمنا فيض الرحمة الألهية وأن وعد الله متحقق لامحالة قال تعالى:((جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ.[44]((وفي قوله تعالى: ((جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ[45]((ذكر ابن عاشور أن تفتيح الأبواب كناية عن التمكين بنعيمها؛ لأن تفتيح الأبواب يستلزم الأذن بالدخول وهو يستلزم التخلية بين الداخل وبين الانتفاع بما وراء الباب وقد جاءت لفظة (مفتحة) حال من (جنات عدن)[46]، ويبدو أن الفضاء

الغيبي في الآية المذكورة تشتمل على عدة ابواب مما يكشف لنا أن الداخلين لذلك الحيز هم كثر وتلك الجنات مزدهرة بالبيوت و المساكن ، فأبوابها مفتوحة تسر الناظرين ، قال تعالى: ((وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ[47])) ، فكانت تلك المساكن منازل للمؤمنين الموصوفة بالطيبة التي هي جزء من مكان اوسع /جنات عدن تضمنت رضوان من الله ، فكان المنظور الجمالي منصهرا في جميع جزئيات الآية الكريمة ، قال تعالى : ((جَنَّٰتُ عَدْنٍۚ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا[48])) ، فكان من مصاديق ذلك المكان الغيبي أن الأنهار جارية من تحتها موسومين أهلها بالخلود ، وبقدر ما يحمله ذلك الفضاء الإيماني ، فهو وجه من وجوه الأعجاز.

القصور: جاءت هذه الكلمة بصيغة الجمع في القرآن المجيد بموضعين ، ووردت مفردة في موضعين ايضا.

والقصر والقصير خلاف الطول ، نقول: قصرت الستر ارخيته ، وقصر الشيء يقصره قصرا: حبسه، والقصر من البناء المعروف والمقصورة: الدار البناء المحصنة [49]، ومثل ما أن هذا المكان / القصر معروف في الحياة الدنيا بما يتضمنه من غرف واسعة فيها الراحة والدعة والأمان ، ويحيط به الأشجار والورود من كل جانب فأن هذا البناء سيكون من ضمن الأمكنة الغيبية ولكنه من صنع الله لأناس خصهم بالثواب والرحمة جزاء لأعمالهم ، وهنا علينا ان نحرك الذهن لنتصور بناء الخالق لتلك الأمكنة وما تحتويه من جماليات غيبية.

إن الحور العين هن زوجات المؤمنين، ومقصورات ليس بمعنى الحبس فيها؛ إنما مقصورات لأزواجهن فلا يعرفن غيرهم ،

ووجودهن في القصور فلهن ما يتمنين ويرغبن ، قال تعالى في ما اعده للأنبياء ((تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا.[50]((

الفردوس: تحمل هذه اللفظة معاني متعددة كالروضة والوادي الخصيب وخضرة الأعناب ، والمفردس حديقة في الجنة ، والفردسة: السعة.[51]

يعد مكان الفردوس من أمكنة العالم الغيبي ، وهي مرتبة عالية من مراتب الجنة ، تسر الناظر ، فيها البهجة و السرور ، وجمالها يهز النفس الأنسانية ، وتحرك المشاعر و الأحاسيس ونعيمها يقطر وينساب ، لا ينالها إلا المخلصين ، وهي وعد من الله للمؤمنين ، قال تعالى: ((ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَاخَٰلِدُونَ[52]((وقال تعالى: ((كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا))[53]، فالمؤمن حينما يستشعر مكان الاستقرار والمتعة والفرح وما لذ وطاب تستقر النفوس ، فكيف لنا اذا كان ذلك المكان هو المكان الأبدي الغيبي الخالد يتصف بأرفع الدرجات ، وهنا تكمن جماليات تلك الفضاءات المتعددة.

جهنم: الجهنام هو القعر البعيد ، وبئر جهنم وجهنام بعيدة القعر ، وسميت نار الآخرة بها لبعد قعرها[54]، وقد وردت هذه اللفظة في (٧٧) موضعا من الذكر الحكيم ، قال تعالى: ((لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ .))[55]

واضح من خلال هذا المشهد الجميل ان الله سبحانه وتعالى أراد أن يحقق عدالته فصور للقارئ اهل الكفر والنار في ذلك المكان الغيبي / جهنم، ولهم وضعهم الخاص، وإن جمالية المشهد قائمة على التفاصيل وذكر الجزئيات؛ ففراشهم مؤثث من النار، وتقديم الجار و المجرور (من جهنم) لعلة بلاغية وهي

التخصيص، كذلك الحال ينطبق على مايغطيهم من غواش ومن ثم فقدان الراحة والاستقرار، وهنا يكون الخطاب القرآني حدد جمالية المكان وشعريته بما يتناسب مع الأعمال ويترك بعض التفاصيل للمتلقي ليرسمه في وعيه الإنساني.

خلاصة ختام

مما سبق يتضح أن المكان – بشكل عام – كان له حضور واسع في القرآن الكريم، وبعد هذه الرحلة السريعة والموجزة مع الأمكنة الغيبية في الذكر الحكيم يتضح مايأتي:

كشف لنا البحث عن لون جديد من الوان الأمكنة ألا وهو المكان الغيبي الذي انفرد به النص القرآني وهذا النمط تضمن ابعاداً دينية وتشريعية وفنية وسردية وجمالية فضلاً عن الأعجازية مما جعل لذلك الفضاء أهمية قصوى في التأثير على المتلقي.

المكان الغيبي مكان حقيقي انفرد به الخالق عن خلقه، وهو موزع في الخطاب القرآني بما يتناسب مع الاحداث و المواقف، يستطيع الأنسان أن يرسم بعض جزئياته بما يمتلكه من وعي وتأمل.

تعامل النص القرآني مع الأمكنة الغيبية بانتقاء جمالي، فني، وبلغة بلاغية سامقة علما أن تلك الفضاءات ستكون مستقرا للناس جميعا وبحسب العمل.

كشف البحث من أن هناك أمكنة خاصة للمؤمنين يتمتعون بها جزاءً لأعمالهم في الحياة الدنيا، وهي على شكل مراتب ودرجات متعددة كالفردوس وجنات عدن والقصور وغيرها، وفي قبال ذلك وجد الباحث أمكنة اخرى للمنافقين والكفار كجهنم وكلها من صنع الخالق ولها وجوه جمالية عالية الدقة.

كشف لنا المكان الغيبي المستقبلي حال الأنسان في الحياة الأخروية، أما أن

يكـون هائنـا في بهجـة وسـرور، أو أن يكون في الدرك الأسفل من النار.

جاءت الأمكنة الغيبية المتعددة لتكون محطات في مسار جماليات علم لغة النص القـرآني، لهـا ظلالهـا المتدفقـة واغراضـها المتعددة يتجلى ذلك بالوعظ والارشاد في نسـيج لغـوي، بلاغـي متماسـك يمتـاز بالجمال والابداع والأعجاز.

الهوامش

١) لسان العرب : ٥١٠/١٣

٢) العين: ٣٧٨/٥

٣) ينظر: مدخل جديد الى الفلسفة: ١٩٦

٤) ينظـر: تيـارات فلسـفية معاصـرة: ٢٩٠

٥) رسائل الكندي الفلسفية: ٢٦/٢

٦) جماليات المكان: ٢٢٧

٧) مريم /١٦

٨) ق/٤١

٩) مريم/٥٧

١٠) الذاريات/٥٦

١١) يوسف/١٠٠

١٢) الحج/٤٥

١٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٢٦٤/٤-٢٦٥

١٤) ينظـر: لسـان العرب: ٣٧٦/٦-٣٧٨

١٥) غافر/٧

١٦) الأعراف/٥٤

١٧) الأنبياء/٢٢

١٨) غافر/١٥

١٩) الأعراف/٥٤

٢٠) ينظـــر: في ظـــلال القـــرآن: ١٧٦٢/٣-١٧٦٣

٢١) قصص القرآن: ١١

٢٢) ينظر: قصص القرآن : ١٠

٢٣) ينظر: لسان العرب: ٣/٨

٢٤) المؤمنون /١٠٠

٢٥) الرحمن/٢٠

٢٦) ينظر: مقاييس اللغة: ٣٤٩/٣

٢٧) ينظر: الفروق في اللغة: ٢٩٥

٢٨) الأنعام/١٢٦

٢٩) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٧٦/٧

٣٠) الصافات/٢٣

٣١) المؤمنون/٧٣-٧٤

٣٢) أصول العقيدة الإسلامية : ١٦٤

٣٣) ينظر: لسان العرب: ٧٨٣/١١-٧٨٦

٣٤) الكهف/١٠٢

٣٥) آل عمران/١٩٨

٣٦) ينظر: لسان العرب: ٣١٦/٩

٣٧) الزمر/٢٠

٣٨) ينظر: تفسير الطبري:٥٣٤/١٧

٣٩) الفرقان/٧٥

٤٠) سبأ/٣٧

٤١) ينظر: مقاييس اللغة: ١٤٨/٤

٤٢) ينظر: لسان العرب: ٣٣٩/١٣-٣٤١

٤٣) دلائل الأعجاز:٣٩٧

٤٤) مريم/٦١

٤٥) ص/٥٠

٤٦) ينظر: تفسير التحرير والتنوير: ٢٨٠/٢٣-٢٨٣

٤٧) التوبة/٧٢

٤٨) طه /٧٦

٤٩) ينظر: لسان العرب: ١١٨/٥

٥٠) الفرقان/١٠

٥١) ينظر: لسان العرب: ١٩٧/٦

٥٢) المؤمنون/١١

٥٣) الكهف/١٠٧

٥٤) ينظر: لسان العرب: ١٣٠/١٢

٥٥) الأعراف/٤١

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.أصول العقيدة الأسلامية: لأبي جعفر أحمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق: عبد المنعم صالح العلي، ط١، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١) تيارات فلسفية معاصرة: علي عبد المعطي محمد، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، ١٩٨٤م.

٢) تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور: محمد الطاهر ابن عاشور، مؤسسة التاريخ، بيروت – لبنان، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

٣) جامع البيان عن تأويل القرآن (تفسير الطبري): محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر.

٤) جماليات المكان: جاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا، وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، ١٩٨٠م.

٥) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان: للقرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٦م.

٦) دلائل الأعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ط٣،القاهرة، مطبعة المدني، ١٩٩٢م.

٧) رسائل الكندي الفلسفية: ابو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: بطرس البستاني، ١٩٦٧م.

٨) العين: لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي ، د. ابراهيم السامرائي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان .

٩) في ظلال القرآن: سيد قطب، تحقيق: علي بن نايف الشحود، دار الشروق للنشر، ط٣١، ٢٠١١م.

١٠) الفروق في اللغة : لأبي هلال العسكري ، تحقيق: لجنة احياء التراث العربي، ط٥، بيروت، دار الأفاق الجديدة ، ١٩٨٣م.

١١) قصص القرأن: ابو الفداء اسماعيل بن كثير، جمع وترتيب: أحمد بن شعبان بن محمد، ط١، القاهرة، ٢٠٠٣م.

١٢) لسان العرب: لابن منظور، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.

١٣) مدخل جديد الى الفلسفة: عبد الرحمن بدوي، الكويت، ١٩٧٥م.

١٤) مقاييس اللغة: لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١، بيروت، دار عالم الكتب ودار الجيل، ١٩٩٩م.